العرب
الإثنين 2020/05/11
السنة 42 العدد 11699

عندما تتفوّق الكوميديا على الخيال العلمي

«جيمس ضد مستقبله» فيلم مُمتع قائم على المفارقات والمواقف الطريفة

ماذا لو عدت إلى نفسك بعد سنين طويلة بشخصك الحالي إلى شخصك السابق؟ بماذا ستنصح نفسك؟ وأية قرارات سوف تتّخذ؟ وأية مواقف عليك أن تعدل عنها؟ وأية فرص ضيعتها ويمكنك الآن استثمارها؟ كل هذا الأسئلة مجتمعة يطرحها فيلم الخيال العلمي "جيمس ضد مستقبله".

طاهر علوان
كاتب عراقي
مقيم في لندن

خيال علمي طريف

يطرح العديد من المخرجين في أفلامهم أسئلة ترتبط بعامل الزمن وتحديدا بالسفر عبر الزمن، وهي ثيمة سبق أن عالجتها سينما الخيال العلمي في العديد من الأفلام باتجاه قلب المصائر والحيلولة دون وقوع حوادث ومواقف معينة.

وهنا سوف نتذكّر أفلاما سبق أن ناقشنا بعضها في هذه الصفحة، ومنها أفلام: "النجمي" و"القضاء والقدر" و"الدكتور ستريتج" و"العودة إلى المستقبل" و"الحلقي" و"حافة الغد" وغيرها.

وفي فيلم "جيمس ضد مستقبله" للمخرج الكندي جيرمي لالوند سوف نعيش أجواء الانتقال عبر الزمن في إطار التمني والطموح الواسع للبروفيسور جيمس (الممثل جوناس تشيرنيك)، الذي يعيش هوسا دائما يسيطر عليه فيما يخصّ موضوع عبور الزمن إلى درجة أن اللوحات الحائطية المزدحمة بالمعادلات الرياضية تنتشر في منزله وحتى في غرفة نومه.

وتبدو مسيرة الحياة بالنسبة إلى الشخصية لا تتطابق مع المنهجية العلمية التي تتطلبها المهنة وذلك ينطبق على جيمس، فهو غير مكترث كثيرا بأغلب المحيطين به بقدر ملء عقله بالمعادلات وفرضية عبور الزمن. ولا يخطر في بال ذلك العالم أن يعبّر عن نفسه ولا أن يُصغي للآخرين ولا أن يثمّن الأوقات المهمة والاستثنائية التي تمرّ في حياته.

هذه الحصيلة كلها سوف يحملها له صنوه أو هو نفسه بعد عشرين عاما، حيث يعود إليه شخصه وقد تجاوز السبعين في صورة جيمس الكهل (الممثل دانييل ستيرن)، وقد حفظ الدرس جيدا وجاء محمّلا بطباع شخصية أخرى أكثر مرحا وبساطة وتفاعلا مع الآخرين.

يصبح الإثنان وجها لوجه في سلسلة من المشاهد الطريفة التي يختمها جيمي الكهل بمطالب لشخصه وهو شاب، ومن بينها أن يدرك مشاعر إنسانة لازمته في عمله وهي زميلته كورتني (الممثلة كليوباترا كوليمان)، والتي سبق أن شاهدناها في فيلم "ظل القمر" وهو فيلم خيال علمي سبق أن ناقشناه في هذه الصفحة ويتعلق بالرحيل عبر الزمن أيضا.

كورتني نقطة ضوء في حياة جيمس لا يدرك قيمتها، ولا يبوح بها إلاّ جيمي الكهل، متأسفا على لحظات التردّد والانشغالات اليومية التي بدّدت تلك العلاقة، لكن كل ذلك تتم صياغته في قالب كوميدي من خلال قرار الاثنين أن يتأكّدا هل أن القطّة حيّة أو ميّتة، ويجسّدان العلاقة بينهما في لقاء حميمي ينتهي في جو كوميدي.

لا شك أن فكرة السفر عبر الزمن بطابعها الجدّي في إطار العلم قد تمّت معالجتها سينمائيا كما ذكرنا، ولكن ماذا عن المواقف الساخرة والحوارات الطريفة؟ تلك التي تُغنينا عن مشاهدة ماكينة الزمن وصناعة ديكور لمبان قديمة أو مستقبلية، ذلك ما تم بناؤه دراميا وبشكل مُتماسك في هذا الفيلم.

ولعلّها أرضيّة هشّة للغاية التي تحرّك عليها كاتب السيناريو والمخرج لكي يفلتا من التسطيح وضعف المعالجة السينمائية للفكرة. لكنهما استطاعا تقديم فيلم مُمتع قائم على المفارقات والمواقف الطريفة.

ومن جهة أخرى لم يسرف الفيلم في الأماكن والشخصيات، بل إن المخرج نجح في تقديم النطاق الضيّق الذي تحرّكت فيه الشخصيات، فضلا عن كونها تكمّل بعضها بعضا في مقاربة فكرة المستقبل.

وأما على صعيد البناء الدرامي فيلفت النظر الشعور بالبراءة والبساطة وحُسن النية، ذلك الذي يجسّده جيمس في علاقاته مع الآخرين إلى درجة أن مديرة مشروع السفر عبر الزمن تستغلّه وتسرق ما توصّل إليه وهو ما سوف يكتشفه متأخرا.

المرآة التي تنعكس عليها شخصية جيمس هي صديقته كورتني التي ترى وتشخّص له عيوبه وتدعوه إلى أن يجمع نفسه، وأن يدرك من هو وأن يكفّ عن خلط الأشياء. لكن تلك النصائح تبدو متأخرة مع قرار كورتني إيجاد عمل في جنيف تاركة جيمس في دوّامة الأرقام والمعادلات.

جيمي الكهل تختصر فكرته من خلال الإحساس بمتعة الأشياء من حوله، وأن تصغي لمن هم من حولك، وهي مبالغات لا وقت لها بالنسبة إلى جيمس، ولهذا يتعرّض إلى تهديد جيمي وعقابه، لينتهي الأمر بإلقاء جيمي في السجن، لأنه بدأ يغيّر لجيمس رتابة حياته ولربما اعترافه الضمني بالفشل.

هناك في هذه الدراما الفيلمية الكوميدية إحساس إنساني شفّاف تمت صياغته في وسط تلك الكوميديا، وحوار إنساني مفقود بسبب لهاث الجميع لكي ينالوا فرصهم في الحياة، ولهذا كان قرار كورتني ترك كل شيء خلف ظهرها من أجل أن تبدأ حياة جديدة مع أشخاص آخرين وفي أماكن جديدة.

يلاحظ على المسار الدرامي والسردي في هذا الفيلم أنه يتأثّر كثيرا بدوافع الشخصيات، ولهذا نشهد نوعا من الترهّل والإيقاع البطيء، وربما يعود ذلك إلى عدم إيلاء الحبكات الثانوية وتصعيد الدراما الفيلمية المزيد من الأهمية.

وبسبب ذلك كلّه، كانت أحداث الفيلم تحتمل الكثير من التطوير والتعمّق في المعالجة وبثّ الحبكات الثانوية، مع الحفاظ على القالب الكوميدي لذلك الخيال الشفاف المرتبط بفكرة السفر عبر الزمن بوصفها موضوعا يتجدّد وتتنوّع فيه المعالجات والأفكار.

الفيلم يقدّم فكرة السفر عبر الزمن بطابع مرح وساخر، عكس غيره من أفلام الخيال العلمي التي تناولتها بجدية

ترسم لتجد نفسك

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ترسم شجرة فتشبهك. كانت شجرة موندريان تشبهه وهي لا تشبه شجرة بوسان التي تتشبّه برسامها. لا أقصد هنا الروح. ذلك ما لا يمكن التنبؤ به.

الرسام يُقيم داخل الأشياء التي يرسمها. إنه يبحث عن صورته في ما يراه. من غير ذلك فإن ما يُرسم لن يكون له معنى خارج محاولة وصف فائضة. الرسام الحقيقي يجد في الوجوه التي يرسمها ما يعيده إلى وجهه. عينا موديلياني تطلان من وجوه نسائه. ذلك سحره الذي لا يُفارق خيال يديه. كل الجمل التي نقولها إنما هي محفورة على شفاهنا قبل أن نقولها. تلك أحجية لا يمكن أن نفك ألغازها. نحن نرى وجوهنا في مرايا خيالية. مشكلة الرسام الحقيقية تكمن في الوصول إلى الدرجة التي يشعر من خلالها أنه وصل إلى نفسه. نرسم الخارج من أجل أن نرتد إلى الداخل. ما هذه المعادلة المعقدة؟

ببساطة نحن نبحث عن أنفسنا. قوتنا الأرضي جاهز في الطبيعة من حولنا وأصوات الملائكة تطرق أسماعنا وهي تتّقي طريقتنا في الإنصات إلى موسيقى الكائنات، كما أن العشب من تحت أقدامنا تنبعث رائحته لتُحيطنا بنضارته. غير أن حواسنا وهي مجسات اتصالنا بالعالم تظل سائبة ما لم تجد ضالتها في ما يقودها بدعة إلى أعماقنا.

سيكون علينا أن نتعرّف على أنفسنا من جديد. لسنا أقل خُضرة من الحقول كما أن شموسنا الداخلية ليست أقل نصاعة من شمس نهارنا. نحن في الحقيقة لا نعرّف بأنفسنا من خلال الرسم بقدر ما نتعرّف عليها. لقد انتهى وصف العالم مع الانطباعية فكان كلود مونيه رائدا في النظر إلى الطبيعة باعتبارها صورة عن النفس البشرية.

اكتشف مونيه أن في إمكاننا أن نتسلّل إلى العدم من خلال النظر إلى زهرة مائية، جذورها لا تبحث عن أرض لكي تنبت فيها. نقيم في تلك الزهرة المُسافرة، في خيال عطرها لنُعيد تأثيث أرواحنا بلذائذ سيُتيح الرسم لنا التعرّف عليها.

فنانو الستريت آرت يواجهون الوباء بالغرافيتي الناقد والساخر

لم يتخلف فنانو الشارع في العالم عن مواكبة تداعيات فايروس كورونا المستجد، منهم من استعمل جدارياته لتوعية الناس وتحذيرهم، ومنهم من جعلها وسيلة لإدانة قادة العالم الذين لم يحرّكوا ساكنا لحماية البيئة، ومنهم من رصد مداخيل أعماله لمساعدة الطواقم الصحيّة.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

في أماكن كثيرة من العالم، خرج فنانو الشارع ليكتسحوا الجدران والأماكن المهجورة بأعمال الغرافيتي، ويعبّروا كعادتهم عن موقفهم من حدث الساعة، جائحة كورونا. بعضهم أدى ذلك قبل الحجر الصّحي، وبعضهم الآخر أنجز لوحاته في سطوح المباني أو في شوارع خالية من المارة، تجنّبا للعدوى.

ولئن اختلفت الأساليب والوسائل المستخدمة، فإن الفنانين جميعا التقوا حول ثيمة واحدة. الألماني فايك المقيم بأمستردام جعل لوحته "الممرضة السوبر" أنشودة مهداة إلى الطواقم الصحية في العالم؛ والنرويجي بوبل أراد من خلال لوحته "عشاق" أن يقدّم مساهمة إيجابية لنشر الفرح في نفوس البشر جميعا، ويوصي الناس بمساعدة بعضهم بعضا في هذا الظرف الحرج. وأراد الإيطالي نيلّو بيتروتشي بلوحته "سويت هوم"، التي تظهر عائلة سيمسون جالسة أمام التلفاز، أن ينصح الناس بالبقاء في البيت حتى مرور الزوبعة، فيما ركزت لوحة الأميركي هايجاك على المتطوّعين لتعقيم الشوارع في جنح الظلام، وهو ما عنته المجموعة السينغالية "آر بي أس كرو" في لوحة "ضدّ الفايروس" بوضع بخاخات ألوان في خدمة مكافحة كورونا، إضافة إلى لوحات تحسيسية أخرى تصدّرت جدران أحياء داكار.

أما الأميركي داريون فليمنغ فقد جعل من الجل المطهّر للوقاية من الفايروس لوحة إعلان إشهاري كتب عليها "جديد! لا يوجد في أي مكان"، وعلّق على ذلك في حسابه على إنستغرام بقوله "أرجو أن تروّح هذه اللوحة المازحة الأنفسَ الحائرة أمام انتشار الفايروس. ابقوا في بيوتكم، ولا تفزعوا"، وهو ما ذهب إليه الهندي تايلر في لوحة كتب عليها "حافظ على هدوئك".

> أغلب اللوحات تحثّ على الوقاية، سواء باستعمال الكمائم والقفازات والجلّ المطهّر، أو بالتباعد الاجتماعي

كذلك الشأن في بعض الأقطار العربية حيث أنجز الفنان السوري عزيز الأسمر رسومات "غرافيتي" تحاكي كورونا على جدران إدلب المدمّرة، تعمّد فيها اختيار البيوت والمدارس المهدّمة لتبليغ رسالة عمّا كانت تحوي من حياة نابضة، وتوجيه رسومات لتوعية الناس وحضّهم على الوقاية، وتظهر إحدى رسوماته الفايروس وهو يعضّ بأسنانه قائلا "سوريا ليست آمنة".

وحصل ذلك أيضا في بعض البلدان الإسلامية على غرار إندونيسيا، حيث قامت مجموعة اتحاد جداريّي سورابيا برسم جدارية ضخمة عنوانها "خصوم كورونا" يبدو على يسارها وزير الصحة وبجانبه امرأة تحمل كمائم وقاية، وعلى اليمين طبيب في بذلة وقائية يمسك بمنظار يراقب بواسطته وضع البلاد تحت الجائحة.

أغلب اللوحات كانت تحثّ على الوقاية، سواء باستعمال الكمائم والقفازات والجلّ المطهّر، أو بالتباعد الاجتماعي، وحتى الجسديّ داخل البيوت، أو تعبّر عن تضامنها مع الطاقم الصّحّي.

وإذا كانت تلك الأعمال في عمومها منذورة للزوال، كما حدث في مدينة نانت الفرنسية، فإن أعمالا أخرى تحوّلت إلى أيقونة. من ذلك مثلا لوحة الإيطالي فرانكو ريفولّي، وهي عبارة عن استعارة تمثل طبيبة على وجهها كمامة وهي تهدهد إيطاليا محمومة وملفوفة في العلم الوطني، وتبدو الطبيبة ذات جناحين كملاك يرعى المرضى المصابين بكوفيد – 19.

هذه اللوحة نزّلها صاحبها على المواقع الاجتماعية، ولما حظيت بإعجاب جمهور عريض من مستخدمي الشبكة، تمكن مستشفى بوحنا 23 في بيرغامو بمقاطعة لومبارديا، المدينة التي أصابها الفايروس بشكل فظيع، من الحصول على ترخيص من الفنان لتحويلها إلى جدارية عملاقة تتصدّر واجهة المستشفى، تحية لكافة أعضاء الطاقم الصحي على اختلاف رتبهم وتخصصاتهم، وتقديرا للجهود التي يبذلونها لعلاج المصابين.

أما الدومنيكية إيمي فريثنكر فقد رسمت في بارك ماور، موطن الفن الديني، لوحة استوحت شخصيتها من غولوم أحد أبطال توكيان في "هوبيت" و"سيّد الخواتم"، ويبدو متأملا غنيمة كتب عليها بالألمانية "أنفس شيء لديّ". وما الغنيمة في الواقع سوى لفائف من الورق الصّحي الذي تهافت عليه الناس في شتى المتاجر الغربية، وفي ذلك نقد لاندفاع الناس إلى تخزين المواد والبضائع وكأن الحرب على الأبواب.

غير أن بعض فناني الستريت آرت اتخذ عمله الفني وسيلة لانتقاد موقف السياسيين من الجائحة، فالإيطالي المقيم ببرشلونة "تي في بوي" استمدّ مقولة للعم توم من رواية الأميركية هاريت بيتشر ستاو: "لنبق متّحدين، فإن تفرقّنا سقطنا" ليحوّلها إلى شعار مضادّ: "لنبق متفرّقين، فإذا توحّدنا سقطنا"، في تأكيد على ضرورة التباعد الاجتماعي لتوقي العدوى. وصرّح أنه ينتقد في هذه اللوحة موقف دونالد ترامب الذي دعا إلى العكس.

كذلك البرازيلي إيرا أوكريسبو، الذي رسم كاريكاتير للرئيس بولسونارو بأنف أحمر كأنوف المهرجين، وكتب تدوينة على حسابه في إنستغرام يقول فيها "كذّاب، سيكوباتي، ثقيل الدمّ، دنيء، نذل..." مضيفا "تخيروا ما لديكم من نعوت أبشع تصمون بها هذا الوغد". جاء ذلك بعد ندوة صحافية قلّل فيها الرئيس البرازيلي من خطر الفايروس، وبدا أمام الحضور بكمامة ما انفك يزيلها ويعيدها مرارا وتكرارا قبل أن يخلعها ويتركها معلّقة على أذنيه.

أما في فرنسا فقد قامت جمعية "سيكيم لمنسقي المغامرات" بتنظيم "مهرجان فنّ مديني تحت الحجر" منذ أواسط شهر مارس المنقضي، دعت إليه نحو مئة وخمسين فنان ستريت آرت إلى إعداد أعمال يتم بيعها على الشبكة لمساندة المستشفيات في مواجهة تكاليف الأجهزة والمعدات. وقد حصلت الجمعية حتى الآن على ما يقارب الأربعين ألف يورو. ومن الطبيعي أن تتركز الأعمال كلها على موضوع الساعة، فتبدو إحدى الممرضات في هيئة ملاكم يواجه الفايروس، ويبدو الإنسان كسمكة في بوقال، وتبدو الكرة الأرضية مكمّمة، تحوم حولها غربان تنذر بالشؤم، وخطاطيف تبشّر بالأمل.

زمن الكمامات.. تضامن فني مع الطاقم الصّحّي